

The Ideological Dimension in *Fawadhil* by Gamal Qaisi

**Dr. Wijdan Yakoob Mahommod/The Ministry of Education
Manar Al-Huda High School Wijdanabd68@gmail.com**

Copyright (c) 2024 (Wijdan Yakoob Mahommod (Ph.D.)

DOI: <https://doi.org/10.31973/reza8n86>



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](#).

Abstract:

This study seeks to identify the ideologies that the author tries to include in his literary text with full awareness, or what comes from the ideologies possessed by the author which appear in the body of the novel unconsciously. Furthermore, this study aims to highlight the different and numerous ideologies in *Fawadhil* due to Iraqi reality. The ideological dimension of the novel shows "communication" through the ideologies of the characters and the ideology of the narrator. Through them, the writer transmits a political dilemma, a social issue, and an economic suffering. This was the reason for studying political, social, and economic ideology, and the call for adapting ideology to be an artistic and aesthetic element and its relationship with reality through the principle of ideological pluralism.

Keywords: Key words: economic ideology, *Fawadhil*, political ideology, social ideology, The ideological dimension

البعد الأيديولوجي في رواية فواضل لجمال قيسي

د. وجدان يعكوب محمود

وزارة التربية والتعليم/ مديرية تربية الكرخ ١

ثانوية منار الهدى للبنات

Wijdanabd68@gmail.com

(مُلخَصُ البَحْث)

تسعى هذه الدراسة لإبراز الأيديولوجيات التي يحاول المؤلف تضمينها نصه الأدبي بوعي كامل منه، أو ما يتسرب من أيديولوجيات يمتلكها المؤلف فتظهر في المتن الروائي من دون وعي منه، كما تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الأيديولوجيات المتعددة والمتباينة في رواية "فواضل" نتيجة تعددها في الواقع العراقي وتباينها. ويظهر البعد الأيديولوجي لرواية "فواضل" عبر أيديولوجيات الشخصيات وأيديولوجية الراوي، يبيث الكاتب عن طريقتي معضلة سياسية، وقضية اجتماعية، ومعاناة اقتصادية، فكان هذا سبباً في دراسة الأيديولوجية السياسية، والأيديولوجية الاجتماعية، والأيديولوجية الاقتصادية، والدعوة الى تطويع الأيديولوجية لتكون عنصراً فنياً وجمالياً وعلاقتها بالواقع عبر مبدأ التعدد الأيديولوجي.

الكلمات الدلالية: البعد الأيديولوجي، الأيديولوجية السياسية، الأيديولوجية الاجتماعية، الأيديولوجية الاقتصادية، فواضل
مقدمة:

إن حجر الأساس في هذه الدراسة يتمثل في سبر غور النص الروائي، بما فيه من أفكار وآراء يعرضها المؤلف في روايته، سواء أكانت هذه الأفكار واضحة جلية أم كامنة خفية؛ وذلك لإثبات إن أي عمل أدبي ولاسيما العمل الروائي لا يمكن أن يخلو من البعد الأيديولوجي، تتجلى فيه اتجاهات المؤلف الفكرية وآرائه حول العالم بشكل عام والواقع الذي يعيش فيه بشكل خاص.

وهذا البحث يتناول بالتحليل البعد الأيديولوجي في رواية "فواضل" لجمال قيسي. ربما يوجي مصطلح الأيديولوجية بما يمتلكه الشخص من أفكار سياسية، وهذا بجانب الحقيقة، فالأيديولوجية هي وجهة نظر واسعة من جهة وخاصة من جهة أخرى؛ فهي واسعة لكون الأيديولوجية تشمل مفاصل الحياة جميعها من أفكار سياسية واجتماعية واقتصادية

ودينية وفلسفية... الخ، وهي خاصة؛ لأنها أفكار تمثل صاحبها يتبناها ويؤمن بها ويحاول إقناع الآخرين بها.

قامت الدراسة على بيان مظاهر التعدد الأيديولوجي في رواية "قواضل" يتناسب مع التعدد الأيديولوجي في الواقع العراقي في الحقبة التي وقعت فيها أحداث الرواية. واعتمدت الباحثة بعض المصادر المهمة مثل: "مفهوم الأيديولوجية" لـ "عبد الله العروبي"، و"النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى النص الروائي" لـ "حميد لحميداني".

المدخل:

تُعد الرواية من أكثر الفنون الأدبية تعبيراً عن الأفكار التي يحاول الأديب نقلها إلى المتلقي، عبر بناء فني مشوق ومتربط يثير الفضول لدى القارئ في معرفة الشخصيات وأفكارها وحركتها ومن ثم نهاياتها. ولو سلطنا الضوء على أفكار الشخصيات لوجدناها تظهر من الحوار أو الحوار الداخلي أو السرد أو غيرها من تقنيات الرواية. فالرواية على وفق هذا الفهم تُعد جزءاً من العناصر والخصائص المكونة للمجتمع بشتى مجالاته، وهي باب من أبواب الفهم الحقيقي لهذا المجتمع في وقت محدد. والرواية العراقية شهدت تطوراً كبيراً ارتكزت فيه على الواقع العراقي الثري بأحداثه السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

أولاً: مفهوم الأيديولوجية:

الأيديولوجية من الألفاظ والمصطلحات التي لها تعريفات متعددة ومتغايرة. وهي من المصطلحات الحديثة على اللغات الحية.

فمن الناحية اللغوية، هي كلمة مشتقة من اللغة اللاتينية تتكون من كلمتين هما: idea وتعني الفكر و logos تعني العلم، وهي بهذا تكون معناها علم الفكر أو الأفكار (غورفيتش، ١٩٩٩، ص ٤٠). وقد خضع هذا المصطلح إلى تعريفات عدة لمدارس فكرية متنوعة ومتباينة، فكل مدرسة فكرية وضعت لها تعريفاً ينسجم مع أفكارها.

فكان الرأي الماركسي ينسبها إلى كل ما ينأى عن الواقع. فد(كارل ماركس) في كتابه (الأيديولوجية) يُعدها الظاهرة المعبرة عن البناء الفوقي - الفكر - الذي يحدد اتجاه البناء التحتي - الإنتاج في المجتمع - وهي بهذا المعنى تشكل الوعي الزائف الذي لا يبتعد عن الحقيقة فحسب بل يشوهها أيضاً؛ لأن الأيديولوجية على وفق الفكر الماركسي تسويغ لمصالح الطبقة الاقتصادية المهيمنة على المجتمع، وهي آلية تسمح للرأسماليين باستغلال الطبقات الأخرى في المجتمع، كغطاء يحمي مصالحهم (ينظر: حافظ، ٢٠١٤، ص ١٩).

فالماركسية ترى الأيديولوجية من التساؤل عن " ما هي الأسباب التي جعلت الفكر الإنساني في كل أدواره يرى الأشياء طبقاً لدعواه هو لا طبقاً لذاتها هي (أي الأشياء) وبهذا يربط (كارل ماركس) الأيديولوجية بعلم الاجتماع " (المصدر نفسه، ص ١٠). ومن كل ذلك تتضح نظرة الماركسية التهكمية السلبية للايديولوجية.

في حين يعمق (جوزيف غابل) في فهم الأيديولوجية ويربطها بالوعي الزائف، " وقد ألف كتابه (الأيديولوجية الألمانية) الذي ألفه مع الفيلسوف أنجلز " (المصدر نفسه، ص ١٠). أما (كارل منهاتم) في كتابه (الأيديولوجيا واليوتوبيا) فقد وضع معنيين لها: المعنى الجزئي الخاص للأيديولوجية، ويعني التشكيك بالأفكار التي تصدر عن الآخرين بعدها أقنعة زائفة لإخفاء مواقف حقيقية. ومعنى كلي عام ويعني الطريقة العامة للتفكير داخل مجتمع في حقبة تاريخية محددة. وهو بهذا المعنى ينظر إلى المعرفة من الحياة الاجتماعية، ويسلط الضوء على تركيب الفكر لهذه الحقبة بالذات (ينظر: منهاتم، ١٩٨٠، ص ١٩ - ٢٠).

ولم يقدم (لوسيان غولدمان) تعريفاً محدداً للأيديولوجية، وأطلق عليها مصطلح رؤية العالم، الذي يعده " العنصر الأساس الملموس للظاهرة التي يصنفها علماء الاجتماع منذ عشرات السنين بمصطلح الوعي الجماعي " (عيلان، ٢٠٠١، ص ٢٧).

أما النقاد العرب فقد تصدى لهذا المصطلح الناقد (عبد الله العروي)، فأطلق على الأيديولوجية مصطلح (أدلوجة) ووضع لها ثلاثة معان: "أولاً ما ينعكس في الذهن من أحوال الواقع انعكاساً محرفاً بتأثير لا واعي من المفاهيم المستعملة. وثانياً نسق فكري يستهدف حجب واقع يصعب وأحياناً يمتنع تحليله، ثالثاً نظرية مستعارة لم تتجسد بعد كلياً في المجتمع الذي استعارها لكنها تتغلغل في كل يوم أكثر فأكثر، بعبارة أدق أنها تلعب دور النموذج الذهني الذي يسهل عملية التجسيد هذه " (العروي، ١٩٩٣، ص ٢٩).

فهو يرى الأيديولوجية مصطلح واسع قد يعني (قناع) في المجال السياسي، إذ يمكنها أن توجد تفكيراً وهمياً ولها انطباعات عن المجتمع، ويرى أيضاً إن الأيديولوجية الخاصة عقيدة تعبر عن الإيمان بقضية ما، في الوقت نفسه يراها قناع تسير وراء نوايا صاحبها حتى إذا كانت خبيثة، وعلى وفق ذلك لا ينظر إلى الأيديولوجية السياسية من جانب الحق والباطل (ينظر: العروي، ١٩٩٣، ص ١٠).

في حين يراها في المجال الاجتماعي هي المسؤولة عن تحديد أفكار وأعمال الأفراد بلا وعي، فتوجد بالعقل الباطن للجماعات منطق واحد وقيم مشتركة أساسه الرجوع إلى التاريخ (ينظر: العروي، ١٩٩٣، ص ١١).

وفي هذا السياق يرى (حميد لحداني)، إن الأيديولوجية لا تتطابق مع العلم مع اقترابها منه، وفحوى اقترابهما يتضح في الذات بعدها العنصر المتأمل في موضوع الأيديولوجيات بمختلف أنواعها، وفي هذا فهي تمثل معطيات الوعي في الحضور الموضوعي، ومع هذا لا تعد رؤية للعالم كعرفة (ينظر: لحداني، ١٩٩٠، ص ٢٤). وقد ورد لمصطلح (الأيديولوجية) معان عدة في معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب فهو:

- ١- علم الأفكار وموضوعه هو دراسة الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها، وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص.
- ٢- تطلق على التحليل والمناقشة لأفكار مجردة لا تطابق الواقع.
- ٣- عند ماركس جملة الآراء والمعتقدات الشائعة في مجتمع ما من دون اعتداد بالواقع الاقتصادي (وهبة، ١٩٨٤، ص ٧٠).

ثانياً: الأيديولوجية والأدب:

هناك علاقة جدلية بين الأيديولوجية والأدب، وهذه العلاقة تتركز في مقاربات الأدب وما يمثله من أهمية في تسليط الضوء على المجتمع الإنساني بكل ما فيه من أفكار ومبادئ ومعتقدات مختلفة ومتباينة.

فالأدب يعيد رسم الواقع بكل ارهاساته، موشى بخيال الكاتب، مطعم ببلاغة اللغة، ومحلى بأسلوب صاحبه. وهنا يكون لقاء الأدب بالأيديولوجية، في تصوير الأديب للحياة الاجتماعية بكل مجالاتها بأسلوب مناسب للعصر الذي يحدده الكاتب.

يقول الناقد الألماني (بيتر شيتيرين) في هذا الصدد " هي لا تعني التوحد بل التشابه الأسري بين الأفكار السابقة في إطار عصر من العصور والظواهر التي فيما بينها سمات وخصائص مشتركة، ويمكن وضعها في منظومة واحدة، إذ إن الأفكار تظل مرتبطة بطريقة أو بأخرى بأسلوب عصرها ". (راغب، ٢٠٠٣، ص ٨١).

ومثلما كان تعريف الأيديولوجية متعدد بحسب المدارس الفكرية، كذلك كان تحديد العلاقة بينها وبين الأدب وللأسباب نفسها، فعلى سبيل المثال من المفكرين من يصف العلاقة بين الأيديولوجية والأدب بعلاقة تأثر وتأثير، كلٌّ يضع بصمته على الآخر، وهذا ما أكده (لوسيان غولدمان) بقوله: " الأدب شكلاً أيديولوجياً وتكون الأيديولوجية هي البيئة الفوقية للنسق الفكري وللوعي الاجتماعي، تلك البيئة التي تعبر عن علاقات اجتماعية محددة، وهنا يكون الأدب شكلاً تابعاً لوجود سابقاً هو وجود الأيديولوجيات "(عباس، ٢٠٠٥، ص ٤٨).

وبهذا السياق كان (بيير ماشيري) و(ايجلنون) يتفقون مع هذا الرأي. وقد تولد هذا الفكر كرد فعل لما جاء به الفكر المثالي في إن الأدب إبداع ذاتي من نفس واعية (الكاتب)، وهذا يعني بالضرورة أن الأدب لا يرتبط بالبيئة الاجتماعية ومن ثم ليس له علاقة بأيدولوجيات هذا المجتمع. (ينظر: عباس، ٢٠٠٥، ص ٤٤ - ٤٥).

ويميز (لوي ألتوسير) بين الفن والأيدولوجية في كتابه (النين والفسفة) فيعد أن الفن ليس جزءاً من الأيدولوجية مع أنهما يرتبطان بعلاقة خاصة ومتفردة، فيرى الفن الأصيل " لا يقدم لنا معرفة بالمعنى الدقيق، وبهذا لا يحل محل المعرفة العلمية... إن ما يعمق الفن... هو الأيدولوجية التي ولد الفن منها، ويستحم في مياهاها، الأيدولوجية التي يحرر الفن نفسه منها بوصفه فناً، ويلمح في الوقت نفسه إليها ". (لحميداني، ١٩٩٠، ص ١٠٣ - ١٠٤).

فالأدب عموماً والرواية على وجه الخصوص لا بد لها من رسالة تهدف إلى إيصالها للمتلقي، ومن يقوم بهذه المهمة الشخصيات والراوي "الرواية بحاجة إلى متكلمين يحملون إليها خطابها الأيدولوجي الأصيل، ولغتها الخاصة. إن الموضوع الرئيس الذي يخص جنس الرواية ويخلق أصالتها الأسلوبية، هو الإنسان الذي يتكلم كلامه" (باختين، ١٩٨٥، ص ١٠٥).

ويقترح الناقد (حميد لحميداني) من هذا الرأي، فيرى أن الرواية ليست نقلاً حرفياً عن الواقع بكل ما فيه من علوم او فنون بل هي موقف من هذا الواقع " وهذا الموقف لا يمكن أن يتشكل إلا بإعادة إنتاج هذا الصراع الواقعي والأيدولوجي في النص " (لحميداني، ١٩٩٠، ص ٤٢).

البعد الأيدولوجي في رواية "فواضل":

إن رواية (فواضل) حاولت أن ترصد لنا الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في العراق بكل ما فيه من تغيرات واختلافات كان لها الأثر البالغ على أيدولوجيات الشخصيات، فهذا الأثر لا يمكن إلا أن تظهر معه كل العيوب المجتمعية والنكسات السياسية والإحباطات النفسية التي تعاني منها الشخصيات الروائية التي كان هناك ما يوازيها من شخوص في المجتمع وعلى أرض الواقع. "إن لكل شخصية في الرواية لغتها الخاصة التي تعبر بها عن أيدولوجيتها الخاصة" (العيد، ١٩٩٩، ص ١٢٢).

تحكي رواية الفواضل عن مجموعة من الشخصيات هناك ما يجمعهم وهناك ما يفرقهم، يجمعهم الفضاء المكاني وهو نفق ساحة التحرير وكذلك هم جميعاً يحملون الاسم نفسه، فهم كلهم (فاضل) وتفرقهم معتقداتهم وأفكارهم وأيدولوجياتهم، فهناك فاضل (السلفي) وفاضل

(الشيوعي) وفاضل (بوستر) القواد، أما أمير نفق ساحة التحرير فهو فاضل (أبو العباس) نصف مجنون، وفاضل (الأسير) وفاضل (الصوفي). على وفق ما تقدم من تنظير يخص علاقة الأيديولوجية بالأدب، نلاحظ إن هذه العلاقة متغلغلة بشكل عميق في رواية (فاضل)، ولكي نحددها لابد أن نحدد الجوانب التي تجلت فيها، وهذه الجوانب هي:

أولاً: الأيديولوجية السياسية:

لقد سبق لنا تعريف الأيديولوجية، أما السياسة أو بمعنى أدق علم السياسة هو (دراسة كل ما يتصل بحكومة الجماعات، أي العلاقة بين الحاكم والمحكوم) (طشطوش، ٢٠١٤، ص ١٥). إن أكثر ما يهم الأدباء هي هذه العلاقة بين الحاكم والمحكوم ومدى تأثير المجتمع بتلك العلاقة، سواء بالسلب أو بالإيجاب، فكان تركيز الأدباء في كل عصر وزمان على سياسة الحكام. ويمكن القول إن الفن الروائي أصبح ديوان العرب في العصر الحديث؛ فهو ينقل الواقع من وجهة نظر الروائي وبحسب خياله، فيحاول عكس آلام وأحلام الأمة العربية، وعرض قضاياها، ومعتقداتها، وأفكارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية (ينظر: وادي، ٢٠٠٣، ص ٥).

فظهر ما يسمى بالرواية السياسية "وهي الرواية التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها دور الغالب بشكل صريح أو رمزي. وكاتب الرواية السياسية ليس منتمياً - بالضرورة - إلى حزب من الأحزاب السياسية، ولكنه (صاحب أيديولوجية)، يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني" (وادي، ٢٠٠٣، ص ١٢).

لذلك فالرواية ينبغي أن تركز على عصر محدد له أسس ومبادئ وقيم تختلف كل الاختلاف عن غيره من العصور، لهذا يقوم الروائي بالإلمام بالظروف السياسية لذلك العصر، وهذا ما يعطي نوع من المصادقية والواقعية للرواية.

وتظهر أيديولوجية الروائي في نظريته إلى العالم أو الواقع المعاش والأيديولوجيات المطروحة في ذلك الواقع و"هي بالتحديد مجموعة من الطموحات والإحساسات أو المشاعر أو الأفكار التي تجمع بين أعضاء جماعة وتجعل هذه الجماعة تقف في تعارض مع الجماعات الأخرى" (لحميداني، ١٩٩٠، ص ١٩). لعل كاتب رواية (فاضل) لم يجهد نفسه في دراسة العصر الذي جرت فيه أحداث روايته، فهو شاهد على هذا العصر فقد عاشه بكل تفاصيله وحيثياته.

استمد الراوي أيديولوجيته السياسية من ثراء الأحداث السياسية في تلك الحقبة الصعبة من الزمن "قصتنا تدور حول هامش عابر وأبطاله، تكسر الزمان والمكان في تسعينيات

القرن الماضي في بغداد " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٨)، ففي أول الرواية وقبل أن يلج الكاتب في أحداثها حدد مقتربات توضح للمتلقي فضاءها الروائي وما قد يلتبس عليه من أحداثها. في أول سطور الرواية يؤكد الكاتب على لسان الراوي مدى الكذب والافتراء الذي يعاني منه المجتمع وكل ذلك سببه الظروف السياسية القاسية التي عاشها؛ بسبب الحروب والاضطهاد والظلم التي ولدت صفات سيئة لدى بعض أفراد هذا المجتمع "بقدر ما تبدو بعض الأمور محض افتراء، أو بقدر ما نحن أدعياء، ربما في كل شيء... نكتشف في النهاية أننا وحدنا ضحاياها" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٧). إنهم ضحايا السياسات الجائرة التي جثمت على صدورهم فعاشوا على هامش الحياة.

ونلاحظ هناك شعور بارتكاب الذنب والمعصية والإثم لدى الراوي؛ ربما سبب ذلك رضوخ الشعب تحت سياسات جائرة لمدة طويلة، فهو يعرف حق المعرفة أنه يعيش على أرض العراق الذي كان مهبطاً لأبونا آدم (عليه السلام) "أولى بصمات الرب كانت على هذه الأرض، عندما أطلق العنان لآدم وزوجته" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٧)؛ ولأن أبونا آدم أذنب بمخالفته أوامر الله سبحانه وتعالى، وأكل من الشجرة المحرمة، فكذلك ذريته جبلوا على الذنوب، فالراوي يعد عدم ثورة الشعب على حاكمية من الذنوب. وفي معرض وصف الراوي للفضاء المكاني الذي تدور فيه الأحداث يطفو إلى السطح أحساس جلي بالذنب والإثم "وهناك مقهى يكتنف في حديقته شجرة توت عجيبة وباسقة، نهرب إليها ربما محاولة لستر عورتنا في قابل الأيام ببعض أوراقها دون أن نعرف" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٩)، فهنا تناص واضح مع القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَطَقْفًا يَخِصِّفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ" (طه، ١٢١).

ويلمح الراوي برمزية للعراق وللشعب العراقي الذي عانا الأمرين من السياسة والسياسيين في تلك الحقبة، فجعل الأحداث جُلها تدور في نفق ساحة التحرير، ومن المعلوم أن النفق مكان منخفض، كان يمكن أن يجعل الفضاء المكاني ساحة التحرير بأكملها لكنه أراد أن يرمز إلى تراجع العراق بكل ما يحمله من حضارات عريقة عن ركب الحضارة الحديثة، فوصف النفق بكل تفاصيله وما فيه: "علينا أن لا نستثني الروائح تعددها يقربنا سلالياً إلى جناح الكلاب، لا عجب كلنا ننتمي إلى النوافق" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٩)، فالمكان هو النفق والمكين هم نوافق (حيوانات) فهناك إشارة واضحة لانتهاك حقوق الإنسان في العراق. ولم يشفع العمق التاريخي للعراق في كونه مهذا لأقدم الحضارات على وجه الأرض، "سيتحول البلد إلى ساحة إعدام كبيرة وعشوائية أشبه ببيت النمل وهناك من سيعبث به بعضا فكان انتظار السماء أن تمطر عليهم بوابل القذائف والصواريخ" أمر مفزع لكن لا هروب منه

والبقاء على قيد الحياة مرهون بالصدفة أما كل العمق الإنساني فهو مهدور " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٥). ويحدد لنا الكاتب تأريخ في غاية الأهمية ليس للشعب العراقي فحسب بل للعرب جميعاً ولا أبالغ إذا قلت إنه تأريخ مهم بالعالم أجمع أنه (١٠ / ٤ / ٢٠٠٣)، "ها هي السماء قد أتت بالدخان الأسود منذ أيام ورائحة البارود والموت في كل الأرجاء، كأنها لحظات العذاب الأليم، إنه اليوم العاشر من نيسان عام ٢٠٠٣، أحد الأيام السيئة لهذه المدينة المعتقدة ببغداد " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١١).

ف نجد الكاتب على لسان الراوي يعبر عن حزنه وألمه لما آل ببغداد، بغداد العراقية والتأريخ والحضارات، وقد حدد الراوي التأريخ بدقة هذه التأريخ وإن كان قد أتقن الجميع على أهميته لكنه مختلف عليه، فالبعض يراه تأريخ تحرير العراق من الطاغية، في حين البعض الآخر يراه تأريخ احتلال العراق، ومن المقطع السابق يمكننا أن نكتشف إلى أي الفريقين يقف الكاتب.

يعرض الراوي وجهة نظره بشكل واضح وجلي عندما يرى أن ما يحدث على أرض العراق عار على الإنسانية عار جديد يضاف إلى السجل المخزي لتاريخ الإنسانية بصرف النظر عن دعاوي الحق والباطل، "إنها حفلة شواء مستعارة من الجحيم وقودها الحجارة والناس العالقين في هذا الحيز دون إرادتهم، فإن من سيقوم بشوائهم هو نفسه من أتى بأنظمة الاستبداد التي سلبت إنسانيتهم " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٥)، ومن هذا المقطع يؤكد الروائي قناعة الكاتب في أن من يقوم بحرق العراق وقتل أبنائه هي الدول نفسها التي أتت بالأنظمة الحاكمة على هذه البلد، وعندما تمردت هذه الأنظمة افتعلوا شتى الادعاءات والأكاذيب لشن الحرب عليها.

تستند الرواية أية رواية عدد من الشخصيات سواء أكانت نامية أم ثابتة، رئيسة أم ثانوية، وهذا بالضرورة يؤدي إلى تعدد أيديولوجياتها السياسية، إن الصراع الروائي يحدث نتيجة اختلاف بعض الشخصيات مع بعض لاختلاف أيديولوجياتهم، أو قد يحدث تناقض بين أيديولوجية الشخصية نفسها وما تقوم به من أفعال وأقوال.

شخصية (فاضل أبو العباس) الشخصية نصف المجنونة نتيجة الشعور المتزايد بالإحباط لم يستطع أن يتكيف مع الواقع القاسي مما جعله يعاني من الاضطراب الانفعالي والنفسي، فقرر أن ينفصل عنه، ويتصالح مع ذاته في خلق عالم وهمي يكون فيه هو الأمير والنفق إمارته وجذع نخلة مقطوع هو عرشه، "عندما كان يعود من جولاته اليومية الصباحية أو المسائية ويتربع على جذع النخلة المبتور والتي كان يسميها العرش لا يستطيع أحد أن يدنو منه إلا بطلبه، كانت ممتلكاته بسيطة جداً وليست ذات قيمة وهي عبارة عن

(بطانية عسكرية) متهاككة وذات ثقب لا يمكن إحصاءها وصندوق كارتون مفتوح على شكل قطعة واحدة يتخذ منه فراشاً للنوم ليلاً... هو في حديث متواصل مع نفسه أو ربما مع أشخاص وحده من يراهم (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٤).

شخصية (أبو العباس) موتورة نصف مجنونة لها موقف من هذه الحرب لا يختلف عن موقف الراوي، ففي يوم ٩ نيسان ترك سكان بغداد مدينتهم، وذهبوا إلى المحافظات المجاورة طلباً للأمان، فأصبحت بغداد خالية خاوية على عروشها وهذا الأمر لم يعجب شخصية فاضل (أبو العباس) مما دعاه إلى مواجهة المجنزة الابرامز متسلحاً بسعفة النخل اليابسة، مرتدياً عباءته الملكية، فأطلقت عليه وابلا من الرصاص ليسقط شهيداً (ينظر: قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٦).

" أبو العباس رمز حي لحقبة قاومت كل المؤثرات المتعسفة واستطاعت أن تتأى بنفسها عن كل المتغيرات السلبية والقبول بما تتمخض عنه من نتائج حتى لو كانت على حساب القيم الاعتبارية" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٧)، وهنا يتضح للمتلقي جنون الأحداث، ف(أبو العباس) فقد توازنه، وأصبح يعيش في عالم خيالي نتيجة ما عاناه من واقع لم يستطع تقبله أو العيش فيه، مما جعله يعيش حياة بوهيمية، ولكنه كان له رأي واضح من الحرب على العراق عبر مقاومته، ولم يشفع له جنونه الواضح للعيان ولا سلاحه غير المؤثر فأطلقت المجنزة عليه وابلا من الرصاص مما أودى بحياته.

كان لظروف الحرب والخيبات المتكررة والإحباط العام، فضلاً عن الفقر المدقع بسبب الحصار الاقتصادي الأثر البالغ في تكوين أفكار وأيديولوجيات هجينة طفيلية، فمعظم شخصيات الرواية باستثناء فاضل (أبو العباس) لم تمتلك الإيمان الراسخ بمعتقداتها وأفكارها. فشخصيات رواية (فواضل) هم " سلفي وشيوعي و قواد، وآخر نصف مجنون" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٩٥)، وغيرهم من الشخصيات المهشمة نفسياً المطحونة اجتماعياً.

ومن هذه الشخصيات (فاضل السلفي) الذي قتل والده العسكري في إحدى معارك الشمال، وتخلت عنه والدته من أجل الزواج من رجلٍ آخر، ومن ذلك الوقت أودع فاضل إلى اللانتماء، عاش في بيت جده الذي مات وهو في سن التاسعة، ولكنه قبل وفاته كان قد أوصى بإيداع مبلغ باسمه كوديعة يستلمها عند بلوغه سن الرشد، الأمر الذي أوغل صدور أعمامه وعماته وسقوه مرّاً العذاب إلى أن تمكن من الهرب وترك كل شيء وراءه، وبدأ يعتمد نفسه وتقل من عمل إلى عمل و"رغم أنه كان لا يمت بأي صلة لأي معتقد، وكرد فعل تلقائي انخرط مع مجموعة من السلفيين من الذين يرتادون جامع الأورفلي" (قيسي،

٢٠٢٠، ص ٧٥)، هذه المجموعة التي أنقذت فاضل من جماعة من المعتدين وفيما بعد وفروا له مكاناً للسكن وعملاً في الكتب الممنوعة فوجد فيهم السند الذي يفتقده .

كانت شخصية مازن- وهو زعيم الجماعة التي انقذت فاضل- لها الثقل الأكبر في جعل (فاضل السلفي) ينقاد إلى أفكارهم مع عدم اقتناعه بها " أعظم خطيئة يرتكبها الإنسان عندما يخون نفسه، كان فاضل (السلفي) يمارس نوعاً فريداً من الانفصام " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٦٣)؛ هذه الخيانة للنفس هي التي جعل فاضل (السلفي) يظهر الولاء لمازن وأفكاره ويبطن عدم إيمان في كل شيء، ليس لديه القدرة على مواجهة المشكلات بصراحة، فهو إنسان متردد غير ملتزم بالصلاة ويصلي لكي يكسب ود مازن فقط؛ لأنه يمثل الملاذ الآمن لفاضل، " وأدرك أهميته في حياته وبالحال أخذ يفكر بالالتصّل من صلاة العشاء مستثمراً غياب مازن وهو المكسب الوحيد الذي ممكن أن يحصل عليه اليوم " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١١٥)، وظهر على حقيقته للمتلقّي عندما أعطاه مازن شقة في عمارة والده كان مازن يستعملها في أعمال تخزين الكتب الممنوعة فضلاً عن شرائط فيديو ممنوعة كذلك، وفي هذه الشقة ألتقى بشخصية (ناز) أخت مازن، التي تسللت إلى الشقة بغفلة من مازن وبقية أخوتها، وأقام معها فاضل علاقة محرمة وقد كشفت لفاضل سر أخيها مازن في امتلاكه مجلات وأفلام إباحية أدمن على مشاهدتها، لم يمتلك فاضل (السلفي) الإدراك الكافي في فهم هذه التناقضات التي تكتنف شخصية مازن وجماعته، فهم يتكلمون الفصحى وكلامهم موسى بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، وأعمال تخريبية إلى أن قام صديقه فاضل (الشيوعي) بشرح الأمر له "مازن ومجموعته أشبه بالعصابات الإجرامية، ولكنهم مجرمون باسم الله والدين ونفوذهم يمتد من البتاوين والباب الشرقي حتى منطقة السنك، يعني إذا أغضبتهم سوف تصبح كل هذه المناطق محرمة عليك وممكن أن يغدروا بك، عليك أن تماشيهم وتتعلم المهنة وبعد أن تجمع لك رأسمال تغادرهم بود، دون إثارة حفيظتهم" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١١١). لقد سار فاضل (السلفي) على الخطة التي رسمها له فاضل (الشيوعي)، وحينما أراد الأمريكيان تجنيد فاضل السلفي، كلفوا مازن بتبليغهم رغبتهم وقد تم اللقاء بين مازن وفاضل السلفي بحمايتهم في منطقة نائية وأخبره أنهم يراقبونه منذ مدة، وقد تم اختياره بعناية لدخوله العملية السياسية ويجب عليه أن يخضع للتدريب.

" - معلوماتنا عنك دقيقة، ونحن نراك جديراً بالمهمة، إن تجاوزت التدريب، قال الميجر. أمري إلى الله، ما المفروض أن أعمله الآن ؟ قال فاضل: جهز أوراقك الثبوتية الجديدة خلال أيام ، وبعدها سيأتي من يرافقك حتى الشيراتون، لا نريد أن يراك أحد، نحن

التقيناك هنا، لكي لا يشك باتصالنا، ستكون حصاننا الرابع، إن التزمت بتعليماتنا. قال الميجر " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٧٠ - ٧١).

ومن هنا تظهر لنا أيديولوجية الأمريكيان في صناعة السياسي والعملية السياسية، فهم يعرفون حق المعرفة أن الأيديولوجية السلفية غير مترسخة في روح فاضل السلفي وربما يكون هذا هو السبب الحقيقي في اختياره، وكذلك هم على دراية بضحالة ثقافته وشعوره باللانتماء، وسهولة انقياده وإن لم يكن مقتنعاً، فهو سابقاً انقاد لمازن وجماعته ولم يكن مقتنعاً بأفكارهم ومعتقداتهم؛ لذلك كانوا يجدون فيه البذرة الصالحة لصناعة سياسي منقاد لهم كل الانقياد.

وعلى هذا النمط نجد شخصية فاضل (بوستر)، حينما يقوم الكاتب بتكوين فكرة صادمة للمتلقي عن هذه الشخصية، فأول ما تظهر هذه الشخصية في السرد الروائي يقول: " بالرغم من أن فاضل (بوستر) كان قوادة بالفطرة إلا أن هذا ليس أسوأ ما يمارسه من دعاة " (قيسي، ٢٠٢٠، ٢١)، وبهذا يمكن أن نتخيل أية أيديولوجية تمتلكها هذه الشخصية الغربية.

نشأ في ميثم، وتدريب على النجارة عندما أشتد عوده ترك دار الأيتام وعمل في إحدى ورش النجارة، " أدرك منذ مدة ليست بالبسيطة أنه نكرة وسيبقى كذلك إلا إذا امتلك المال، المال وحده سيغطي على كل الفجوات ويرقعها، ولكنه لم يكتشف الطريقة التي من خلالها يستطيع أن يجني المال الوفير، وبحكم نشأته هو شخص جبان ومتردد يلازمه شعور مزمن بأنه محاصر في بيئة معادية، احتمال أن يكون لصاً أو مجرماً ضعيفاً جداً مع توفر النية". (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٣٥)، يعاني فاضل من ضعف الثقة بالنفس، لا يمتلك الشجاعة على أن يكون لصاً لجني الأموال التي يحلم بها، ولا يمتلك أخلاقاً تمنعه من السرقة.

كان لفاضل صديق مسيحي اسمه نبيل، كان نبيل يعمل ببيع البوسترات وعندما التحق بالجيش ترك لفاضل بوستر مهمة هذا العمل الذي كان السبب في توسيع مداركه وفتحت له أفقاً جديدة، كانت مهمة نبيل الكبرى تعليم فاضل وتثقيفه وتعليمه الإنكليزية وأظهر فاضل استعداداً لتعلم كل ذلك وربما هو الذكاء الفطري الذي يتمتع به؛ " الثقافة أما تمس الروح أو العقل، وإذا مست كليهما بلغ حاملها الحكمة، وفاضل لم تمس غير عقله، روحه معطوبة " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٣٧)، ولكن سلوكه المنحرف حرف هذا العمل إلى بيع بوسترات الصور العارية، فضلاً عن المجالات الإباحية، كانت هذه أولى خطواته في عالم الدعارة.

وتتأزم حياة فاضل (بوستر) عندما يبلغ السن القانوني للالتحاق بالخدمة العسكرية و في إحدى اجازاته الدورية يتعرف على لمياء التي رافقته في اكمال طريق الدعارة إلى آخره،

ولمياء هذه فتاة هوى لا يعرف لها عائلة، تسكن في الفندق نفسه الذي يسكن فيه فاضل تقوم الشرطة باعتقالها بالجرم المشهود هنا يتدخل فاضل في الطلب من المفوض السماح لها بارتداء ملابسها، وإقناعه بأن هذا لصالح الذوق العام، لم يكن موقفه هذا صادقاً ولا عفويّاً "كانت تدور في ذهن فاضل خطة بائسة ملخصها ، إنه سيستفز المفوض أو أحد رجال الشرطة، الأمر الذي ربما سيؤدي إلى اعتقاله بضعة أيام عندها سيكون لديه مبرر لتخلفه عن الالتحاق لأن إجازته الدورية كانت ستنتهي بعد يومين، غير أن البرود الذي قابل به المفوض تدخل فاضل، أحبط خطته، لكنه لم ييأس، وقرر مواصلة الأمر، مقدراً ربما ستسمح له الفرصة في المركز " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٢٧ - ٢٨)، إنه يعاني من ضعف الاستجابة للقيم والمعايير، فلم يكن يتدخل فاضل بدافع من شهامة ولا محافظة على الذوق العام كما قال للمفوض لكن كان يأمل أن يوضع في السجن لتمديد إجازته بضعة أيام أخرى، هذا الموقف لفت انتباه لمياء له، وهو بدوره تعاطف معها ونسى خطته وأحضر إليها مساءً الطعام ، ولا يكتفي بذلك بل حاول أن يكفلها لكنه لا يصلح ؛لأنه عسكري فقام بإقناع حلاق بكفالتها في مقابل قضاء ليلة معها، تشعر لمياء بالامتنان لما قام به فاضل وتدعو للعشاء على حسابها.

وفي موعد العشاء تتعرف على تاريخ حياته بل وتقترح به عندما تعلم أنه لا أهل له " الأهل والأقارب في هذا الزمان نقمة أما المال فهناك أكثر من وسيلة إليه. لمياء " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٣٤).

لكنه عسكري وينبغي عليه الالتحاق بالجبهة، ويعتقد بقاءه على قيد الحياة مجرد ضربة حظ، وأخبرته بأنها تستطيع نقله بمعارفها بشرط أن يتزوجها، وبعد العشاء ذهبت به إلى بيت صديقتها نرجس، وكان لنرجس عشيق ضابط يدعى (أبو عبد الله) " كان (أبو عبد الله) ضابط أمن المستشفى ولديه من السلطة التي تتخطى صلاحيات كل الضباط والأطباء في المستشفى فضلاً عن ذلك شكله الدميم والغلظة في الخلق ، كان الجميع يحاول تجنبه أو التزلف له واتخذ من (نرجس) محظية له وأغدق عليها كل أسباب العيش الرغيد " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٤٧)، وحينما ذهب فاضل في اليوم التالي إلى المستشفى لم يلتق بأبي عبد الله بشكل شخصي حتى لا يظهر في الواجهة، ولكنه كان قد أوصى عليه وأعطوه اجازة شهراً كاملاً، ولم تسع فاضل الدنيا من الفرح، وكررت لمياء عرضها عليه " فكر بالذي اقترحتة عليك وإذا وافقت سأقنع أبو عبد الله بإحالتك إلى لجنة (شرحيل) أليس هذا اسمها " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٤٨).

كانت الإغراءات التي قدمتها لمياء كبيرة لا يستطيع فاضل رفضها فوافق " وتحول فاضل إلى مجرد واجهة متنعماً بخيرات العطاء للميائي... لقد خسر حتى اللاشيء الذي كان يتمتع به" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٥٨).

وكان لفاضل علاقات مع الأميركيان وكيف لا والسقوط مستمر حتى الوصول إلى الهاوية، لقد توسعت أطماعه، فقد عقد صفقات إعادة الأعمال بمساعدة أصدقائه الأميركيان، وأصبح يتطلع إلى شيء أكبر، " المال والجاه لا قيمة لهما هنا، فقط السلطة، هي من تفتح باب المغارة، وبعدها المال يتدفق، وتكتب شجرة النسب، لذا قررت أن أدخل اللعبة، أنا أملك كل المؤهلات " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٢٥). وهكذا كل شيء يمكن تزويره، إذا عرفت كيف تلعب ومع من تلعب.

أما عن شخصية (فاضل الشيوعي) فيقدمها الراوي لنا فيوضح أفكاره ومعتقداته، " لأنه ينتمي إلى مجموعة عانت من عدم الاعتراف بوجودها ومأزق هوية وكل شيء بلا انتماء هو واقع قلق حتى لو كان حقيقياً، رفضوا من كل المحيطين بهم ... وأكبر شاغل ممكن أن يتلبس الإنسان هو السعي للحصول على اعتراف الآخرين به وإن خاب سعيه احتقن بالعقد التاريخية " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٤٦). لقد كان فاضل (الشيوعي) من الكرد الفيلية، الذين عانوا من التهجير القسري بحجة التبعية لدولة مجاورة وتركوا وراءهم أموالهم وأعمالهم وذكرياتهم، فحاول أن يجد له هوية تنقذه من هويته المهزوزة، فانتمى إلى الحزب الشيوعي، مما أدى بطرده من البيت من والده، وبعد أيام رجع إلى البيت واعداداً والده بترك الأمر، وتخلص من الكتب الحمراء وبقى انتسابه للحزب قلقاً "حتى حانت اللحظة الحرجة عندما اعتقل بسبب هذا النشاط، فشكل ذلك انعطاف حادة في حياته، ولأنه بالأساس غير متماسك وبنية قلقة أفضت الأمور به إلى فقدان آخر مبررات الشرف الشخصي، زود الأجهزة الأمنية بأسماء حلقتة و طبيعة النشاط السياسي لهم مع كل المعلومات عنهم حتى التي كانت على مستوى الظنون، كانت النتيجة كارثية إذ لم يخرج أحد من الأسماء التي زود بها الأجهزة الأمنية حياً" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٤٨).

إن تراكمات اللاشعور عند فاضل (الشيوعي) من النبذ والتهجير والرفض والخيانة خلق عنده مركب النقص وعطب في إنسانيته، وعدم القدرة على التعامل الإيجابي مع المجتمع، كل ذلك فضلاً عن مشاكل عائلية جعلت من فاضل (الشيوعي) بقايا إنسان وحياته جحيم لم يقو على تحملها إلا بمعاقرة الخمر والتتبع البوهيمي " هو رسام فاشل وشاعر بلا روح وقصاص أفاق وبائع خائب وفوق كل هذا وذاك شيوعي خائن وبالتأكيد هو زوج وأب غير مسؤول... الرجل باع القضية وانتهى" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٤٩)، ومع كل هذا التشتت

والضياع لازال فاضل الشيوعي متمسكا برأيه في الإلحاد، هذا كل ما بقي عنده من أفكار الحزب الشيوعي.

ومثلما كان فاضل السلفي ليس سلفياً حقاً، وفاضل الشيوعي ليس شيوعياً حقاً، كان فاضل الصوفي ليس صوفياً حقاً، فقد كان فاضل (الصوفي) ضابطاً في الجيش العراقي، يتميز بالكفاءة وحصل على أوسمة، وأبان الحرب وحينما كان يتمتع بإجازة لعبت الصدفة دورها معه فقد جمعته أحد البارات في جلسة خمر بأحد الجواسيس لجهة خارجية، فما كان منه إلا أن أبلغ عنه، وانتقل على أثر ذلك إلى جهاز المخابرات، وأنيطت به مهمة التقرب لأحد شيوخ الطريقة الصوفية في إقليم كردستان، كانت الحكومة تدعم هذا الشيخ ولكن تراودها شكوك في كونه عميلاً مزدوجاً ولاسيما بعد اعلان الاقليم الانفصال عن سلطة الحكومة، فنجح فاضل في التقرب من الشيخ وتأكد من ارتباط الشيخ بجهة أخرى وقبل أن يكتب تقريره "ورده اتصال باستدعائه من الدائرة على الفور ، ذهب مفعماً بالسرور والانتصار ، لقد حقق ما عجز عنه الكثير من زملائه وهم من العتاة، لكنه بمجرد أن وصل الدائرة جرد من هويته الرسمية وسلاحه واقتيد من قبل عنصرين من الاستعلامات، شعر بالإهانة والقلق، فتساءل إلى أين ؟ فأشار أحدهم عليه بالصمت " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٤٢)، تبين فيما بعد أن فاضل أتهم بالخيانة؛ لأن أحد أبناء عمومته قد أعدم بتهمة الخيانة، وقد تعمد اخفاء الأمر هو بمكان حساس، ولم تغلح محاولاته بأنه لا تربطه هو وعائلته صلة بهم كعائلة منذ أن وعى للحياة، لم يشفع لفاضل كفاءته ولا الرتب التي سبق أقرانه بها، فجرد من كل شيء وادع السجن، فلم يستطع ان يتحمل كل ذلك فأصيب بالذهان.

وآخر الفواضل هو فاضل (الأسير)، فقد أحد سيقانه في الحرب " هو مفقود قبل أن يخلق وعندما ادلف من رحم أمه بدأت عملية الاسترجاع لجميع مكوناته... والأسوأ أنها لم تسترجع منه دفعة واحدة بل بالتقسيت، ساقه، عمله، مدخراته، وزوجته وأولاده، وأخرها عقله... أودع إلى قاعة الطريق " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٤٤)، عندما رجع من الأسر وجد شقيقه قد استولى على كل شيء بما فيهم زوجته وأولاده، كانت عودته إلى أرض الوطن بلا جدوى، ولم يستطع التكيف مع هكذا واقع قاسي فانفصل عن هذا الواقع وفقد عقله.

وهكذا كانت شخوص الرواية ما بين شخصية انتهازية يمثلها فاضل (بوستر)، وفاضل (السلفي). وشخصية مستلبة يمثلها فاضل (أبو العباس)، وفاضل (الأسير)، وفاضل (الصوفي) نتيجة لعدم تكيف مع الواقع مما أدى إلى تغييب الوعي والذهان. وشخصية متكيفة يمثلها فاضل (الشيوعي)، إن شخصيات الرواية تحمل طابعاً انكسارياً تخاذلياً؛ وهذا راجع إلى واقع مليء بالحروب والصراعات، وقمع سياسي من قبل سلطة غاشمة، مما جعل

الفضاء الروائي الذي تتحرك فيه الشخصيات فضاء مأزوم مشحون بمشاعر الخوف والتوجس. وهكذا لم تكن أية أيديولوجية سوى قناع زائف. ونجد أيديولوجية الكاتب متضمنة في كل هذه الشخصيات، فهو يرى أن سياسة الحزب الأوحده والقائد الضرورة سياسة مجنونة؛ فجعل ثلاث من شخصياته مصابة بالهذيان، إن أصابه ثلاث من شخصيات الرواية الرئيسة بالجنون أو شبه الجنون يوضح رفض الكاتب القاطع للأيديولوجية الحاكمة ذلك الوقت وأعني بها أيديولوجية حزب البعث التي كانت متفردة بالساحة السياسية أو كما يطلق عليه الحزب الشمولي، وكل ما عداها محكوم عليه بالإعدام، ورسم الكاتب لشخصية فاضل السلفي ومازن السلفي توحى بعدم تقبله لهذه الأيديولوجية، ويجد أنها غير صادقة مع نفسها ومع الآخرين، ولكن نجد قبولاً واضحاً لتبني الأيديولوجية الشيوعية، وفشل شخصية فاضل (الشيوعي) في كل شيء نتيجة قمع واضطهاد وسياسات عقيمة، لا في الأيديولوجية الشيوعية نفسه.

٢- الأيديولوجية الاجتماعية:

العالم الروائي عالم شبيه بالعالم الحقيقي أو يحاول يقترب منه، فيه شخصيات شبيهة بالأشخاص حولنا، بل نحن نعرف الشخصيات الروائية أكثر مما نعرف الأشخاص حولنا، ذلك؛ لأن الروائي يجعلنا نغوص في تفكير الشخصية ونسمع ما يدور في خلدنا من تداعيات الأفكار، ومن أحلام وأمنيات، ويختار لروايته مكاناً روائياً، تدور فيها الأحداث في زمن محدد، فتمتزج عنده الخيال بالحقيقة لتخرج الرواية في النهاية وهي تعبر عن مجتمع متكامل بكل تفاصيله. " الأدب في حقيقته إنما هو تعبير عن المجتمع، وكل ما يجري فيه من نظم وعقائد وأفكار " (ضيف، ١٩٧٢، ١١٣).

فالبينة الروائية تركز في كثير من جوانبها على الواقع بما فيه من مشاكل اجتماعية، وتسليط الضوء على هذه المشاكل واقتراح بعض الحلول لها، وقد تكون سبباً في معالجة هذه المشاكل الاجتماعية، عبر لفت نظر الجهات المسؤولة إلى هذه المشكلة، فالبعد الاجتماعي للشخصيات يعد حجر الزاوية للرواية ففيه ومنه تستقي الشخصيات أبعادها الاجتماعية و"دراسة الفرد لا تتم بعزل عناصره، وإنما بتحديد ارتباطه مع غيره من الأفراد، والتأكيد على التزامه من خلال تفاعله مع وسطه الاجتماعي الذي يتحرك فيه، وبهذا يتم التعرف على موقف الفرد عن طريق ربطه بالنسيج العام الذي يتداخله معه والحكم عليه من خلال هذا التداخل" (الهوري، ١٩٩٣، ص ٢٦٧).

تعد رواية (فواضل) لجمال قيسي رواية سياسية اجتماعية ذلك؛ لأنها رصدت التحولات والصدمات المأساوية التي عاشها المجتمع العراقي، فالرواية هي أهم أداة فنية معبرة عن الواقع والمآسي الاجتماعية بشتى أشكالها من ظلم، واستبداد، ومصادرة حقوق الإنسان،

وهكذا جاءت رواية (فواضل) تعبيراً عن مجتمع عاش تحت الظلم والاضطهاد ، وأفراد عانوا من الهزائم والخذلان ؛ لذلك ارتأى الراوي تكثيف فكرة أن الوضع السياسي المتردي له جانب غاية في السوء على الواقع الاجتماعي، ومن هنا نلاحظ إن الأيديولوجية الاجتماعية حاضرة في الفن الروائي، كما يقول باختين : " إن الدليل اللغوي محمل بشحنة إيديولوجية لا تعكس الصراع الاجتماعي السائد، وإنما تجسده وتدخل في سياقه "(لحميداني، ١٩٩٠، ص ٣٣).

في الأسابيع القليلة التي سبقت الحرب على العراق ، كان المجتمع العراقي مغلوباً على أمره ، ينتظر بيأس ما تسفر عنه الأحداث "الوعي في مثل هذه الظروف لا يتعدى إسقاطات غريزة البقاء إلا من تساوى عنده طرفا المعادلة ، الموت و الحياة مثل أبو العباس... وهجر معظم الناس بغداد إلى المحافظات القريبة وكانت الإمارة الفاضلية هي من المناطق المحاذية للمقار الحكومية ، وبالتالي هي عرضة لخطر كبير وداهم إلا أن الجالية البوهيمية التي ينتمي إليها (أبو العباس) لا تغادر مكانها إلا إذا كانت وجهتها مغادرة الحياة نفسها ليس لها موضع بديل "(قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٥ - ١٦).

لم تكن غريزة البقاء من أولى أولويات فاضل (أبو العباس) فهو نصف مجنون تساوت عنده الحياة والموت، إلا أنه دافع عن حياته التي كان فيها أميراً متوجاً على إمارة " قد انهارت حياته التي اقتضت منه التفريط بالكثير من الأمور حتى بلغها وها هي الآن تتسرب من يديه ، لم يبق أمامه غير القتال لا شيء آخر ممكن أن يخسره" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٦)، لقد كان أبو العباس شجاعاً مؤمناً بإمارته محباً لها، فقد نجح في الحفاظ عليها حتى مع الدهانين الذين يفوقونه شراسة ، ولكنه اليوم يواجه قوة غاشمة لا تمتلك أخلاق الفرسان، فأطلقت عليه وابلاً من الرصاص، فجاد بحياته في سبيل إمارة وهمية.

"لم يكن مقدراً له العيش في عالمنا المختمر بالرزيلة والبلاء، والنظرة المنحرفة لكل شيء، كلنا شواذ وفق رؤيته وهو طاهر حتى نقي العظام" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٣)، عالم فيه الفقر والظلم والخذلان لا يمكن أن يعيش فيه الأنقياء أمثال: فاضل (أبو العباس).

ولأن الأسرة اللبنة الأولى في المجتمع وهي كما يعرفها علم الاجتماع "رابطة اجتماعية تكون من زوج زوجة أطفالهما، وشمل الأولاد والاحفاد وبعض الأقارب، على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة " (عقلة، ١٩٨٩، ص ٨) ، وتعرف تربويّاً بأنها "الوعاء الاجتماعي الذي يتلقى الطفل ، ويتفاعل معها ويشعر بالانتماء إليها "(الحازمي، ٢٠٠٠، ص ٣٠٨).

وهذا بالذات ما يفنقر إليه فاضل (بوستر) فهو لا يعرف له عائلة ولم يكن له بيت، وكل ذكرياته عن عالم الطفولة كانت عن ملجأ الأيتام، وكانت ذكريات سيئة في مجملها، وبعدها كبر أصبح ينتقل من فندق إلى فندق، وهي فنادق رخيصة غير صالحة للاستعمال البشري " ومع المرارة التي تعتصر روحه من هذا الأمر إلا أنه أدرك فيما بعد، بأن اللانتماء كنز لا يفنى، أي فعل سيقدم عليه سيكون حراً من قيود العائلة أو الأقارب" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٢٦). إن ما يسميه فاضل (بوستر) حرية هي بالحقيقة فوضى أو لنقل حرية غير منضبطة بعرف أو تقاليد، حرية تمنح صاحبها حق الانحراف والتجاوز، وتشوه البيئة بأمراض اجتماعية لا حصر لها.

وعلى هذا النمط نشأت شخصية (لمياء) لا أهل لا عائلة ولا بيت؛ لذلك عندما حدث و التقت بفاضل (بوستر)، واستشفت بأنه يمكن أن يقبل الزواج بها " وفاضل ربما يشكل فرصة لتغيير حياتها شرط أن يقتنع بمشروعها، ولكن كل هذا الأمر متعلق بالرواق الذي ينحدر منه والذي تجهله بالمطلق... ومع أنها متعائلة بهذا الصدد بناءً على انخراطه في الوقائع الأخيرة وتقبله شرط الحلاق" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٣٣)، وهنا يتضح بأن شخصية لمياء على دراية جيدة بأهمية البيئة التي ينحدر منها فاضل (بوستر) وإن كانت قد استشفت بأنه يمكن أن يقبل بمشروعها الذي يتلخص بالزواج به وتكون معه شبكة من الدعارة، فقررت أن تسأله بشكل مباشر وواضح من أين أنت؟ فأجابها بأنه من اللامكان، شعرت لمياء ربما لا يرغب في التعريف عن نفسه.

"-أسفة على التطفل وإذا شئت أنا أسحب السؤال. لمياء

- أبدأ، ولكنني أجبك بكل صراحة، أنا لا شيء لا أهل لا مال ولا أقارب. فاضل

- هذه نعمة إن نظرت إليها من زاوية أخرى. لمياء

- الأهل والأقارب في هذا الزمان نعمة أما المال فهناك أكثر من وسيلة إليه. لمياء" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٣٤).

حينما تكون الأسرة مفككة أو غير موجودة، ولا وجود لمرجعية الأب أو العائلة أو العشيرة، لا حتى أخلاق أو نفس سوية، فإن الإنسان سوف يكون حراً حد الانحراف، ذلك إنه من دون قيد ولا حدود لما يرتكبه. كانت لشخصية لمياء الأفكار المنحرفة نفسها التي يملكها فاضل بوستر، فهي تعد عدم وجود الأسرة والأهل والأقارب نعمة، وهذا بجانب الفطرة السليمة للإنسان، فالإنسان السوي يجد راحته وأمانه بين أسرته وأهله. أخذ فاضل بالتفكير مطولاً بعرض لمياء، ولما عرف بأنها يمكنها نقله من جبهة القتال التي كان يراها موتاً محتملاً له إلى بغداد بمساعدة (أبي عبد الله) وافق على الزواج وعلى المشروع معللاً موافقته بنقاش

مع نفسه " هكذا إذن، حياتي مقابل أن أكون قواداً! لم لا؟ ربما أدرج في اللوح المحفوظ أن يكون هذا مصيري أن أكون رجلاً غير كامل ، وثم ما الذي عندي سوف أخسره؟، بالأساس أنا لا أملك شيئاً، مجرد البؤس وربما لمياء سوف تنتزعه ، ولكنه أحس أن اللاشيء الذي يمتلكه سوف يذهب أيضاً" (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٥٢) ، ولكن هذا اللاشيء بالنسبة لفاضل (بوستر) هو كل شيء بالنسبة لغيره، إنه شرف الإنسان وعرضه، ولطالما كانت النفوس الأبوية تحافظ عليه ولا يمكن أن يدفعها الفقر إلى التفريط فيه، فشخصية فاضل هنا لا تعاني من ضعف الاستجابة للقيم والمعايير بل انعدامها كلياً، وهنا نجد أن التخلي عن الشرف والاتصاف بالجبن إنما هو نتيجة بيئة مريضة موبوءة.

ومن أمراض المجتمع مرض العنف الأسري وهو " عنف يحدث داخل الأسرة بممارسة أحد أعضائها ضد نفسه أو ضد باقي أعضاء الأسرة، وهو سلوك لا اجتماعي يتعارض مع قيم المجتمع، ويهدد كيان الأسرة والمجتمع ككل، ويؤدي في حالة استمراره إلى الكثير من المشكلات داخل الأسرة " (أبو النصر، ٢٠٠٩، ص ٢٠٧).

وينطبق ذلك على شخصية فاضل (السلفي) فما عاناه من عنف أسري كان السبب وراء رمي نفسه في أحضان مازن وجماعته لطلب الحماية من مجتمع ظالم ، لقد تربى في كنف جده بعد وفاة والده في إحدى معارك الشمال ، وزواج أمه من رجل آخر " وما أن بلغ سن التاسعة حتى توفي جده ومن حينها أرته الحياة وجهها البشع ، بحيث تحول أعمامه وعماته إلى مجموعة من الغيلان الأوغاد، حتى سقوه المر، ترك الدراسة وهو بالكاد شرع بها ، وبدأ يعمل مع أعمامه بالسخرة ، ولم يدرك سبب انقلابهم عليه إلا بعد أن عرف أن جده كان قد أوصى بإيداع مبلغ باسمه كوديعة لا تطلق إلا ببلوغه سن الرشد ... ولم يستطع تحمل الضغوط التي مورست عليه سواء العنف أو الإهانة ، غادر بيت جده دون سابق إنذار ". (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٧٣)، ومن المقطع السابق نستشف إن العنف الأسري الذي مورس على فاضل نتج عنه عنف جسدي ولفظي وحرمان من الدراسة، فضلاً عن حرمان من مستحقاته المالية في الوديعة التي تركها له جده، وكل ذلك وضعه في مرتبة دونية ضعيفة ، وكان السبب في تشرده وتعرضه لمشاكل كبيرة فيما بعد .

وقد تعاني بعض الشخصيات من الشعور المتزايد بالإحباط مما ينتج عنه الاضطراب النفسي والانفعالي الذي يصل إلى حد الذهان، ومن هذه الشخصيات شخصية فاضل (الصوفي)، فقد كسر عنده أفق التوقع عندما نجح في المهمة الموكلة إليه نجاحاً منقطع النظير، مما أدى إلى شعوره بالإحباط ، كان ضابط مثابراً وقد حقق ما لم يحققه أقرانه من الضباط، إلا أنه اتهم بالخيانة " وأشار إلى الشخصين بإخراجه ، لقد أودع في سجن الدائرة

من حينها أصيب بالذهان، وعند عرضه على لجنة التحقيق أوصت بإحالاته إلى لجنة طبية لتقدير حالته النفسي والتي أوصت بأنه أصيب بفقدان الهوية، اكتفى بفضله من الجهاز ومن حينها هام في الشوارع، لكنه كان مواظباً على حضور حلقة الفواصل " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٤٣)، كان أفق التوقع لدى فاضل (الصوفي) أن يحصل على ترقية في عمله أو قد يحصل على مكافأة ثمينة، فجاحه في المهمة الموكلة يسوغ ذلك، ولكن ما حصل أحبط كل توقعاته وأدى به إلى الهذيان.

وقريب من هذه الأحداث ما حصل لشخصية فاضل (الأسير) فقد عاد من الأسر فاقداً إحدى قدميه، ولكنه محملاً بمشاعر فرح الرجوع إلى الوطن الحبيب، الشوق إلى الزوجة والعائلة والأولاد. " بعد أن عاد من الأسر وجد شقيقه قد استولى على زوجته وأولاده وكل مقتنياته، إن الاستيلاء على عائلة الرجل هو سرقة تاريخه الحقيقي وهو بدورهم اتصلوا عنه جميعاً، وأحسب أن رواق تيهه ما زال طويلاً". (قيسي، ٢٠٢٠، ١٤٤)، إن عدم تقدير التضحيات من أقرب المقربين له أصابه بالخذلان والصدمة، فلم يستطع مواجهة الحقيقة المؤلمة، إن ما تعرض له فاضل (السلفي)، وفاضل (الأسير) هو ما يطلق عليه علم النفس عصاب الصدمة "هو تمزق نفسي يشعر به الفرد نتيجة تعرضه لخبرات مؤلمة وحادة، وليس من السهل انطفائها أو زوال أثرها" (الخالدي، ٢٠٠٩، ص ٣٠٤)، فقد رسما في مخيلتهما توقعات جميلة فكان أن حصل على ردود أفعال غير معقولة وصادمة أدى بهما إلى الجنون.

٣- الأيديولوجية الاقتصادية:

تدور أحداث الرواية في حقبة تعد من أشد الحقب تأثيراً على المجتمع العراقي من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ فقد خاض العراق حرباً ضروساً في الجبهة الشرقية لثمان سنوات، وما أن انتهت الحرب حتى أُلقت العقوبات الاقتصادية الدولية بعد احتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠ ظللها السوداء على المجتمع العراقي، استمر ١٢ سنة و٩ أشهر و١٦ يوماً، وانتهت هذه السنين العجاف باحتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق. فالزمن الروائي كان ينتقل بين هذه الأحداث بشكل غير متسلسل فنجد الكاتب في هذه الرواية مولعاً بتكسير الزمن الروائي، يبدأ الرواية في زمن احتلال العراق، ويرجع إلى زمن الحصار الاقتصادي، وقد يرجع إلى زمن سابق هو زمن الحرب العراقية الإيرانية، ثم يعود إلى زمن الاحتلال وما تبعه من نظام سياسي جديد. استثمر الكاتب هذا التكسر في الأحداث في توضيح الأيديولوجيات المختلفة ومنها الأيديولوجية الاقتصادية، فهو يعرض أهم قضية في هذا المجال، هي قضية الفقر.

يعد البعد الاقتصادي من أهم العوامل المؤثرة في المجتمع وتكوينه ويرى (جولدمان) أن الرواية " هي العمل الأدبي الذي يعكس الحياة اليومية في مجتمع يطبق نظام السوق " (عبد الرزاق، ١٩٩٣، ص ٨٣).

كانت السنوات التي سبقت احتلال أميركا للعراق سنوات عجاف، سنوات الحصار الاقتصادي، فقد أكلت اللحم ووصلت إلى العظم، أما الأسابيع القليلة قبل الحرب فقد كانت شديدة الوطء. فقبيل الحرب الأمريكية على العراق كان هم الناس خزن المواد الضرورية لحياتهم " الناس على عجلة من توفير الضروريات الحياتية لفترة العدوان وقد خبروا سابقاً مثل هذا الظرف كان انهماكهم في الحياة على شكل إجراءات طارئة " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٥).

إنه الفقر عدو الشعوب ومنهكها، هو العدو الحقيقي الذي ينبغي محاربتة والقضاء عليه ومن أوجده، وجعله الزائر الثقيل في معظم بيوت الشعب العراقي أبان أيام الحصار. " في تلك الأيام: كانت قيمة المئة دولار (الورقة) تكفي لمعيشة عائلة متوسطة الحجم لمدة شهر، وهذه الفترة الزمنية المستقطعة من التاريخ العراقي أشبه بفترة الانسلاخ عند الحشرات، فقد العراقيون جلدهم القديم وباتوا بلا درع واقٍ على أمل أن يتصلب جلد جديد لهم ورغم الأمل لحياة أفضل وجلد جديد إلا أن هذه الفترة الزمنية كانت حرجة للغاية، لم يستطع الجميع تخطيها بسلام ودون خسائر " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٠٤).

فهذه شخصية فاضل (أبو العباس) يتعطف عليه صاحب المطعم التركي، ويأمر بإعداد وجبة غداء له من بقايا طعام الزبائن، يتناولها في مكان قرب المطبخ، ومع هذا نجد من يحسده على هذه المكرمة العظيمة. " طبعاً هو لم يكن زبوناً عادياً للمطعم ولم يسمح له بالدخول إليه بسبب هيئته المفزعة وثيابه الرثة، وإنما بمجرد ظهوره من باب المصعد يقوم موظف الاستقبال بأخذه إلى زاوية قرب المطبخ لحين إعداد وجبته وهي من بقايا الطعام مع المشروبات... وهذا الأمر كان مثار الحسد له من الكثير؛ لأن المطعم من فئة الخمسة نجوم ولا يرتاده إلا النخبة " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ١٢). ومن المؤكد إن فاضل (أبو العباسي) كان يشعر بالزهو وهو يدخل المطعم التركي وهو من يعتقد نفسه أمير وله امارة، وله كل العذر بهذا الإحساس؛ فهو رجل نصف مجنون، ولكن ما عذر العقلاء الذين يحسدونه على بقايا طعام الزبائن ومشروباتهم، عذرهم أنهم عانوا من الفقر الذي مس كرامتهم، فلم يجدوا ما يسوءهم من تناول فضلات الطعام والشراب.

أما فاضل (بوستر) فسلك سلوكاً اقتصادياً مغايراً؛ لأنه كان في الخطوط الأمامية من جبهات القتال؛ ولأنه كان يتوقع أن يخسر حياته في أية لحظة. " أصبح لا يدخر النقود، ويبدد بسخاء كل ما يحصل عليه وهو ليس بالقليل في المواخير أو مع بنات الهوى، لشعوره بعبثية الحياة التي تتمخض عن الحرب " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٣٨).

كان فاضل (بوستر) يمارس مهنته ببيع البوسترات والمجلات اللااخلاقية في إجازته الدورية، وما يكسبه من مال يصرفه كله فهو يعيش يومه ولا يفكر بالغد فمن غير المتوقع لديه أن يكون عمره طويلاً، بسبب الحرب، وليس لديه قيم أو معايير أخلاقية توجه تصرفه الوجهة السليمة.

وبعد أن تزوج فاضل (بوستر) لمياء، أصبح لديهما شبكة من الدعارة الخاصة بهما، والتي كانت محمية رسمياً من الشرطة وبعض رجال الأمن فقد كانت لهم حصة في كل شيء، وهذا لا يمنع تعرضه للاعتقال في بعض الأحيان؛ لأنه " في بعض الأيام يكون المردود المادي أقل من المعتاد، في النهاية هي مهنة وعرضة لتقلبات السوق وعندها سيكون دفعه لمستحقات الشرطة المفترضة من قبلهم دون الحد الافتراضي " (قيسي، ٢٠٢٠، ص ٢١).

ويكون الاعتقال وسيلة من وسائل الضغط على فاضل (بوستر)، تظهر أيديولوجية الكاتب في أن الكساد الاقتصادي يلقي بظلاله على دور الدعارة من جهة، ومن جهة أخرى أن أفراد الشرطة لو كانوا يتقاضون رواتب مجزية لعفت أيديهم عن مثل هذه الأموال المشبوهة والمحرمة، فالوضع الاقتصادي كان السبب في انتشار ظاهرة الفساد الإداري. في حين أن الجشع والطمع كان السبب الرئيس في تشرد فاضل (السلفي)، فلولا طمع أعمامه وعماته في أموال الوديعة التي تركها له جده، فضلاً عن ميراثه الشرعي في بيت جده، لما عانى من صنوف العذاب مما اضطره إلى الهرب قبل أن يبلغ سن الرشد وترك كل شيء وراءه. أما شخصية فاضل (الأسير) مع أنه فقد عقله نتيجة ظروف عائلية، فقد استولى شقيقه على زوجته وأولاده، لكن كان هناك جانب اقتصادي في معاناته، فقد استولى شقيقه على مدخراته، وأودعه إلى قارعة الطريق.

الخاتمة:

إن النصوص الروائية لا بد أن تبني على منظومة أيديولوجية للمجتمع الذي تدور أحداث الرواية في جنباته، وهناك اختلاف بين المدارس في أيديولوجياتها، فالمدرسة المثالية ترى أن الفرد يبذل من ذاته ولذاته (الفن للفن)، في حين ترى المدرسة الماركسية أن الأعمال الأدبية وثيقة الصلة بأيديولوجية المجتمع (الفن للمجتمع)، وعبر البحث وجدنا أن رواية (فواضل) لجمال قيسي تنتمي للمدرسة الماركسية.

حاولت الرواية أن توضح الأيديولوجيات السائدة في المجتمع العراقي، فاختيار الكاتب اسم فاضل لمعظم الشخصيات الرئيسية في الرواية ولكنها تختلف اختلافا جذريا في أيديولوجياتها. إن كل هذا التنوع في الأيديولوجيات التي قدمها الكاتب في بناء سردي محكم تضافرت وعكست الواقع بكل ما فيه من تنوع واختلاف.

يتضح من البحث في رواية فواضل إن شخصياته الرئيسية (الفواضل) تنقسم إلى: أما تكون مؤمنة بأيديولوجية محددة وهم، فاضل (أبو العباس)، وفاضل (الصوفي)، وفاضل (الأسير)، وهم شخصيات مستلبة، مجانين أو نصف مجانين، مصابون بالذهان وفقدان الهوية. أو أن تكون مدعية هذه الأيديولوجية فهي غير مؤمنة ولا مقتنعة وهم: فاضل (بوستر)، وفاضل (الشيوعي)، وفاضل (السلفي) شخصيات انتهازية غير مؤمنة بما تصرح به من أفكار ومعتقدات؛ فالظروف التي مرت بها قد زلزلت الأرض من تحت أقدامها، وزلزلت معها كل معتقداتها، فأصبحت أيديولوجياتها مجرد قناع تحاول أن تقنع نفسها به قبل أن تقنع الآخرين.

كان هذا كله مجارة لواقع مؤلم من جهة وثورة على ذلك الواقع من جهة أخرى، فالواقع المتمثل بحرب ضروس وحصار جائر واحتلال غاشم، وناس تتسلق حتى تصل إلى القيادة، وناس يهوي بها الواقع إلى القاع، كل ذلك أدى إلى الشعور المتزايد بالإحباط وضعف الثقة بالنفس، وعدم القدرة على مواجهة المشكلات مع عدم مراعاة القيم والمعايير الاجتماعية والأخلاقية هذا لمن لم يفقد اتزانها، أما من فقد عقله واختل توازنه فقد أصيب بالاضطراب الانفعالي والنفسي إلى أن وصل حد الجنون.

ونجد أيديولوجية الكاتب متضمنة في كل هذه الشخصيات، فهو يرى أن سياسة الحزب الأوحد والقائد الضرورية سياسة مجنونة؛ فجعل ثلاثا من شخصياته مصابة بالهذيان، وهذا يوضح رفض الكاتب القاطع للأيديولوجية الحاكمة، أيديولوجية حزب البعث التي كانت متفردة بالساحة السياسية، ورسم الكاتب لشخصية فاضل السلفي ومازن السلفي توحى بعدم تقبله لهذه الأيديولوجية، ويبدو أنها غير صادقة مع نفسها ومع الآخرين، ورؤية الكاتب في

تجنيد هذه الفئة من الأمريكان تجسد أيديولوجية الاحتلال الأمريكي من جهة، وأيديولوجية الكاتب بهذا الخصوص من جهة أخرى، ولكن الباحثة تجد قبولاً واضحاً لتبني الأيديولوجية الشيوعية، وفشل شخصية فاضل (الشيوعي) في كل شيء نتيجة قمع واضطهاد وسياسات عقيمة، لا في الأيديولوجية الحزب الشيوعي نفسه.

المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم .

١. حافظ، امين، ٢٠١٤، أزمة الأيديولوجيات السياسية، ط ١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة .
٢. لحميداني، حميد، ١٩٩٠، النقد الروائي والأيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، ط ١، بيروت.
٣. الخالدي، أ.د. أديب محمد، ٢٠٠٩، المرجع في الصحة النفسية نظرية جديدة، ط ٣، دار وائل للنشر، الأردن.
٤. راغب، نبيل، ٢٠٠٣، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، ط ١، مصر.
٥. ضيف، شوقي، ١٩٧٢، البحث الأدبي : طبيعته - مناهجه - أصوله - مصادر، ط ٦، دار المعارف، مصر.
٦. طشطوش، هايل المولى، ٢٠١٤، الاتجاهات في العلوم السياسية، ط ١، دار البلدية، ناشرين وموزعين.
٧. عباس، إبراهيم، ٢٠٠٥، الرواية المغاربية: تشكيل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي، ط ١، دار الرائد للكتاب، الجزائر.
٨. العروي، عبد الله، ١٩٩٣، مفهوم الأيديولوجية، ط ٥، المركز الثقافي العربي، بيروت .
٩. العيد، يمنى، ١٩٩٩، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البيوي، ط ٢، دار الفارابي، بيروت .
١٠. غورفيتش، جورج، ١٩٩٩، المعاني المتعددة للايديولوجيا في الماركسية الأيديولوجيا -دفاتر فلسفية -، ترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعيد العاني، ط ١، دار توبقال، المغرب.
١١. قيسي، جمال، ٢٠٢٠، فواضل، ط ٣، آشور، بغداد، العراق.
١٢. الهواري، إبراهيم أحمد، ١٩٩٣، نقد الرواية في الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة .
١٣. وادي، طه، د. ت، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر .
١٤. وهبة، مجدي، المهندس، كامل، ١٩٨٠، معجم المصطلحات في اللغة والآداب، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت.

المجلات والدوريات:

١٥. باختين، ميخائيل، ١٩٨٥، ترجمة، محمد برادة، علائق الكلام الروائي بالأيديولوجيا: المتكلم في الرواية، مجلة فصول، م ٥، ع ٣٤.